



لم تعد سورية في خطر وحسب، بل صار الخطر وجودياً كما لم يكن.

فبشار الأسد حاول طوال حكمه إثبات أنه أفضل الحلول السيئة، واستمر خلال الثورة كذلك، وهو في مواجهة هذا النمط المجيد الجديد من الثورة الذي ابتدعه شباب وأبطال الحراك الثوري بما هو نقيس تارخي أرقى للنظام وبما هو نتاج عقل وأدلة أكثر تحضراً وتطوراً اجتماعياً وسياسياً من مجلمل منظومة النظام، فإن بشار أراد أن يفرض على الثورة من خلال عنفه البربرى العاري، وحله الأمني الآخر، أن تحول ارتاداداً إلى الوراء لتصبح مسخاً متخلفاً من طينته وجنسه.

وبحله الأمني ومنطقه الملتوى حاول بشار شرذمة المعارضة الخارجية، كي تصبح الثورة عنفاً عارياً بربرياً وعصابة بل بندقية بلا عقل، وكائناً أحمق عنيفاً جاهلاً يمضي بلا أي هدف سياسي.

لكن الثورة السورية المجيدة أثبتت أنها تجاوزت سن الطفولة السياسية، وأنتجت بديلها التارخي المجيد.

ففقد فعلها السوريون متفردين، دون انتظار هاتف من أحد ولا صفقات الدولية وإذ يقتات شعبنااليوم بالفتات ويقسم رغيفه مشتركاً فإن على القوى الدولية أن تستنتاج باكراً أن شعبنا لم ولن ينحني لبشار، ولا لأي غاصب غاشم آخر. لن نقبل إلا أن تكون الثورة ناجزة بإسقاط كامل للنظام بكل رموزه وأدواته، ولن نقبل إلا الاستقلال كاملاً، كما لم نقبل سابقاً بالاستقلال إلا ناجزاً شامخاً عام 1936.

نعم، تقف سورية الآن على اعتاب مخاطر سياسية داهمة ومصيرية.

فقد نجح بشار جزئياً في أن يولد نقيساً له من جنسه من خلال استشراء التطرف، ومع ذلك فإن السؤال الراهن لم يعد حول مصير سلطة بشار؟

فهو إلى مزبلة التاريخ قريباً لا محالة، بل أصبح السؤال كيف يمكن إنقاذ البلد من براثن هذا الوحش قبل أن تنها كل مكاسب وقيم الاستقلال، وكل ما أسسته سورية عبر تاريخها؟.

إن الثورة ليست مجرد شطب للتاريخ ماضٍ، بل هي بناء على أفضل ما أنتجه عقل وفكر وعرق شعبنا على مدى العقود. فكيف يمكن أن نرضى بأن نخرج بسوريا بربع 'حرية' تفتقد لأمجاد ما أنجزه شعبنا، ألا وهو استقلال الوطن وسيادته.

سورية كانت وستبقى أرض للعروبة والوطنية والتعدد، وإنما كانت جديرين بدماء الثوار.

سورية اليوم أمام مخاطر التقسيم والانكشاف التام على القوى الإقليمية الطامعة بمختلف راياتها.

ولئن كانت الحرب الأهلية لم تصبح حقيقة عامة بعد، فإنها بلا شك وشيكة، مروعة وفادحة.

ثمة مخاطر ومطامع حقيقة إقليمية ودولية تحاول إعادة هيكلة منطقة سايكس بيكو، وتطبيعها عبر مشاريع تبدأ من فريد زكريا ولا ينتهي عند بريماكوف.

فهذا يريد ممراً إلى البحر، وذلك يحاول قطع الطريق عليه واستعادة أحلامه الماضية، وفي حين يلهث البعض وراء هذه القوة أو تلك، فإننا نؤكد هنا أن الغرب والشرق على حد سواء لن يتدخل إلا ليقصف بيوتنا وقرانا بحجة تواجد عناصر القاعدة فيها، وكل من يعتقد أن الغرب سيتدخل مباشرة في المصراع لإنقاذنا واهٌ مخدوع، ومنطق النصائح والسياسات التي يخرج بها السيد فورد إلى إدارته تذكرنا بالمنطق الاغترابي الكارثي لبرامرز في العراق.

وعلى الثورة ألا تشترى السمك في الماء أبداً، وهذا شاهد آخر على سذاجة وهم التدخل الغربي.

والله لو أن بعض هذه القوى الخارجية سعت فعلاً لتمكيننا من إسقاط النظام وفتح طريق الحرية أمام سورية المستقبل، لا طمأنينة (مؤقتاً وجزئياً). لكن العديد من المؤشرات والدلائل تثير خشيتنا وجل ما نخشاه هو صفة تذهب فيها سورية من يدنا، وتبقى أدوات النظام.

بعد أن شبّعنا خطوطاً من كل الألوان، وشربنا كل المقالب التي حرمنا فيها من حقنا في الدفاع عن النفس لن نقبل بأقل من سيادة الثورة.

لا حاجة بنا للاستجاء وكل من يدعى أن الغرب لا يأبه لمصالح الوضع في المنطقة يعلم أن الغرب والشرق بات بعد الربيع العربي قلقاً على كل البنية الاستراتيجية التي أسس لها ويخطط لها لاحقاً في المنطقة.

نعم سنفاوضون ونتفهم ونتبادل المصالح لكن سيادتنا واستقلالنا الناجز وحماية الثورة من أي صفقات تحت الطاولة تجريها هذه القوة الإقليمية أو الدولية أمر لا مساومة عليه.

إننا لا ندعوا هنا للارتداد نحو سياسة انعزالية أو مغامرة بل يجب عمل كل شيء على المستوى الدولي لاختصار درب العذابات المروع الذي سقط فيه شعبنا تحت براثن وحش دمشق ومن الطبيعي والمفهوم أن تؤخذ هنا التحالفات الدولية بعين الاعتبار وأن يجري جهد دبلوماسي وسياسي مضمن من أجل التوفيق بين رؤية الثورة لسوريا الجديدة ولسيادتها ومصالحها من جهة وبين المصالح الإقليمية المتلقاطعة في منطقتنا من جهة أخرى.

نحن إذاً أمام ثلاثة سيناريوهات متراقبة بتسلسل زمني.

*أولها أن يغيب بشار الأسد، وينهار نظامه خلال أسابيع أو شهور قليلة مقبلة.

في هذه الحالة ينبغي على قوى الثورة أن تكون جاهزة للمشاركة مع كل القوى الخيرة وكل فئات الشعب السوري وما تبقى من مؤسسات الدولة لرسم طريق المرحلة الانتقالية.

هنا ينبغي على قوى الثورة الأصلية أن تكف عن القبول بالسير والشعوبية والطفولة السياسية، بل أن تقولها وتثبتها الآن بصرامة: إنها ستدافع عن أهلنا من العلوبيين والمسحيين والدروز والأكراد، وغيرهم من إخوتنا في الوطن بنفس روح التضحية والتصميم والقناعة التي تقاتل فيها النظام الطائفي، الذي نطبع لإسقاطه وتفكيك مكوناته.

لامجال للالتباس هنا هذه هي النزاهة والقيادة السياسية المطلوبة من أجل سورية المستقبل، ونحن لن نسير خلف أية عفوية عبيطة همجية جنونية تستكمل حريق البلاد.

ولا مجال إلا للقول أيضاً أن الثورة ستقتصر بسلطة التشريع والقانون من كل من تلوثت أيديهم بدماء السوريين الأبرياء أياً كانوا.

هذه ثورتنا، وهي لن تقبل بأقل من وطن جديد بعيد عن كل ما يمت لطائفية بشار والمطامع الإقليمية والدولية. ولدينا هنا بضعة أسباب قبل أن يفرض سقوط الشمال من قبضة النظام واقعاً جديداً يحتم على قوى الثورة السورية إحباط محاولات النظام الاستئثار بدمشق وقطع الطريق على بشار من أن يكون أفضل الحلول الكارثية لسوريا.

***وَلَا فِإِنَّا سَنْمُضِي نَحْوَ السِّينَارِيوِ الثَّانِي:** يعلم بشار أن لا أم المعارك في حلب ولا في أختها دير الزور مكتوب لها أية ثمرة، فإن فشلت المعارضة السياسية في توحيد قواها وتأمين الأساس السياسي كشرط لإطلاق التفاعل التسلسلي لمرحلة ما بعد بشار، فإن تفكك الدولة من جهة وتقدم الثوار عبر انتصاراتهم العظيمة في الشمال رغم بدائيه وسائلهم من جهة أخرى، سيؤدي إلى أن يسير بشار في السيناريو الذي يعمل عليه منذ الآن، ألا وهو: الاحتفاظ بما تبقى من دمشق ساندأ ظهره غرباً إلى حليفه عبر الحدود اللبنانية، آملأ أن يتمكن، عبر سلسلة من المذايحة، من تأمين شبه كيان، ليكون مجرد جنرال حرب على رأس شقة من سوريا، عله يكون جزءاً من حل إقليمي ما في المستقبل.

وَلَا فَمَا مَعْنَى تَهْدِي لِفَرْوَفٍ وَفُورَدٍ بِتَقْسِيمٍ سُورِيَّة؟

لكن ماذا لو استمر توازن الضعف القائم بين الثورة وقوى الثورة ولم يتمكن بشار من حرف الصراع في هذا الاتجاه رغم سقوط الشمال؟

وطالما أن بابا نويل التدخل الأجنبي لن يأتي فإإننا سننحدر نحو السيناريو الثالث: إذ لا يبقى أمام بشار إلا دفع البلاد نحو حرب أهلية شاملة ومفتوحة.

فأمّا سيناريوهات التقسيم أو الحرب الطائفية البغيضة أو مخاطر اختطاف الثورة وتجيئها عبر صفقات أو أجندات إقليمية، فإن السيناريو الآمن الوحيد هو سيناريو الوحدة والتصميم على السير بالثورة إلى النهاية. العامل الحاسم في قطع الطريق على أي من هذه السيناريوهات هو مدى قدرة قوى الثورة والشعب على قطع الطريق سواء على ألاعيب النظام أو على القوى الخارجية المتربصة. إنها الوحدة ثم الوحدة ثم الوحدة.

كَانَ تَشْكِيلُ الائْتِلَافِ الْوَطَنِيِّ لِقَوْيِ الثَّوْرَةِ وَالْمَعَارِضَةِ السُّورِيَّةِ انجازاً وَطَنِيًّا كَبِيرًا.

وبغض النظر عن حياثاته وكواليسه المعروفة جاء تشكيل الائتلاف نجاحاً لكل مخلص لقضية الوطن السوري الحر الكريم. إنها محاولة جدية لإنتاج عقل جماعي يكون الأداة السياسية القادرة على قهر هذا الديناصور الذي أنشب أظافره في لحم أطفالنا وتاريخنا ومجتمعنا، وكل ما أنتجه شعبنا منذ الاستقلال.

لقد أطلق تشكيل الائتلاف تداعيات مهمة لمصلحة الثورة، وكان انتخاب الشيخ معاذ الخطيب، هذه الشخصية الوطنية المرموقة، خياراً صحيحاً تماماً، ولسننا هنا في معرض مدح الشيخ، لكنه بكل ما يتمتع به من مناقب يشكل عاملاً حكيمًا موحداً من جهة، وضمانة مهمة لدرء مخاطر الطريق.

ولاشكUndi أن الشعب السوري سيلتف بقوة حول الائتلاف تدعيمًا وتعزيزاً عبر المزيد من الوحدة.

لكن التجربة علمتنا أن التحديات قد تكون أكبر منا جميعاً. فالثورة لن تحضن مصيرها على عماها لأي كان سوى لروحها الحرة التي لن تقبل إلا بالخلاص القائم من كل أمراض وبقايا المرحلة السابقة.

الطريق لا تزال محفوفة بالمخاطر والمنزلقات. ومن يعرف تاريخ سوريا الوطني يدرك أن القضية الوطنية فيها كانت وستبقى أهم الأقانيم التي تحدد الوعي السياسي والاجتماعي للشعب السوري.

إن يقظة الشعب ستبقى تترقب كل خطوة سيخطيها الائتلاف، ونحن نثق أن الائتلاف لن يقبل إلحاد الثورة بأية أجندات غير الأجندة الوطنية الموحدة الجامعة للشعب السوري الحر بكل مكوناته وطوائفه، ومن هذا المنطلق، وبغض النظر عما يحتاجه الائتلاف من مؤسسة وتطوير لأدواته السياسية والتنظيمية، فإن ثورتنا وائلافنا الوطني يحتاجان إلى الحذر والتنبه الشديد من تلك الصفقات التي قد تدبّر من وراء ظهر الثورة.

نـحن لا نقصد توـتير ولا تعـقـيد عـلـاقـاتـنا في هـذـه المـرـحـلـة معـ أـيـ منـ الأـطـرافـ الـدـولـيـةـ، لـكـنـ عـيـونـنـا سـتـقـىـ مـفـتوـحةـ. فـسـورـيـةـ كـانـتـ مـنـذـ أـرـبـعـةـ آـلـافـ عـامـ العـقـدـةـ الإـقـلـيمـيـةـ الـأـهـمـ، وـكـيـ تـبـقـىـ كـذـلـكـ فـإـنـهـ يـنـبـغـيـ لـنـاـ، نـحنـ السـوـرـيـينـ، أـنـ نـكـونـ جـدـيـرـيـنـ بـهـاـ.

المـصـدـرـ: شـبـكةـ شـامـ

المـصـادـرـ: